

## المقصد العلي من زيارة سيدي الحبيب علي

### في ظلال ذكرى الإسراء والمعراج

د. محمد ياسر القضماني

الحمد لله الغني العلي، والصلاة والسلام على خير مرسل ونبي، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان من كلّ تقيّ ونقيّ وصفيّ.

أما بعد:

فقد تكاثفت على جلّ حواضرنا من شهور متطاولة سحائبُ فتن، وشدائدٍ محن، أورثت كثيراً من الشرور، وتفاقت في حلكتها الأمور، فحار في مسالكها الحليم، وسعد بشؤم وبالها اللّيم!.  
وفي خضم هذا وغمرته وقع شيءٌ مما كنا نخشاه، وهو نسيان كثير من الناس لقضية كبيرة كانت تشغلهم، وكثيراً ما تجمعهم، وهي الغيرة على شؤون المقدسات التي انتهكت حرمتها، وبخاصة شؤون ما يقع لإخواننا في فلسطين المحتلة، وما يتعرض له القدس الشريف من مساوي التهويد، وما يعانیه أهلوه من مآسي التشريد.

\*\*\*

### زيارة الحبيب علي الجفري للقدس:

وفي غضون هذا الذي نحن فيه شاء الله تعالى أن تكون زيارة الشريف الداعية علي زين العابدين الجفري - أمتع الله به - إلى القدس الشريف والتشرف بالصلاة في مسجده المقدس، وما كان في طيّها - على وجازة الزيارة - من متابعة خدمة شؤون المسجد وأهله - كان الله لهم - وقد تيسرت أسباب ذلك في يوم الأربعاء 12 من جمادى الأولى 1433، الموافق لـ 2012/4/4.

\*\*\*

### دَوْحَةُ الحبيب علي الشريفة، وتقدير الناس:

وقبل الحديث عن هذه الزيارة وما تمليه، وما تنطوي عليه من بشارة، لا بد من ذكر نبذة مقتضبة عن الدوحة التي ينتسب إليها هذا السيد المبارك، فأقول:

يعدُّ الحبيب الداعية من مشاهير السادة آل باعلوي الكرام، الذين اشتهرت مدرستهم بثلاثة مقاصد: العلم والعمل والدعوة إلى الله تعالى.

ويرجع نسب آل باعلوي إلى جدهم الشريف علوي بن عبيد الله، حفيد الإمام المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى النقيب (نقيب الأشراف بالعراق) ابن محمد النقيب بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم أجمعين - .  
وقد توفي الإمام المهاجر - رحمة الله عليه - في (الحُسَيْيَسَة) من حضرموت سنة 345 هـ، وبعد مدة انتقلت الذرية المباركة إلى (تريم) سنة 521 هـ، ومن تريم كانت أسفاً للدعوة هنا وهناك، وبخاصة إلى الهند وبلاد الملايو وإفريقية الشرقية، ودخلت بقاع كثيرة في هذه الجهات في رحاب الإسلام بفضل جهودهم وصدقهم وعظيم هيبتهم الظاهرة.

وقد رأيت وسمعت وتحققت بمخالطات ومعاشرات بهم - في أرضهم وخارج أرضهم - بهمَّ إرثهم عن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله - وعرفت سر الشفاء العاطر عليهم من أكابر كلِّ عصر.  
وأكتفي هنا بثناء واحد من أحد مشاهير علماء وقضاة المسلمين المتأخرين، وهو الشيخ يوسف النبهاني (ت 1350) فحينما عرّف بالسيد الحبيب أحمد بن حسن العطاس أحد شيوخه ومجيزه قال: .... من آل باعلوي الكرام سادات الزمان الذين لا أعتقد - والله على ما أقول وكيل - أنه لا يوجد في الدنيا نسب أصح من نسبهم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (في كتابه: جواهر البحار في فضائل النبي المختار - صلى الله عليه وسلم - ج 3 / 980)  
ولكاتب هذه السطور دراسة عن هؤلاء السادة آل باعلوي الكرام، تزيد عن ستمائة صحيفة، أرجو أن تصدر قريباً، وأرجو أن تكون من صالح عملي.

\*\*\*

وقد عرّفت الشام بوجوهها من أهل العلم والفضل قبل العامة قَدَّر الحبيب علي الجفري ومكانته، فقدموه في المجالس الخاصة رفيعة المقدار، واستمعوا إليه بكل إكبار وإعجاب وتأثر!

وأكتفي بصورة واحدة من هذا الإجلال لسيدي الحبيب علي من خاصّة أهل الشام، وهي تقديم الحبيب للإمامة في الصلاة على مَنْ اجتمع فيه العلم والمعرفة والولاية: سيدي العارف بالله المرابي الشيخ عبد الرحمن الشاغوري - عليه رحمة الله - وقد شارك الحبيب بتجهيزه فور وصوله إلى الشام لتشيع الشيخ الراحل.  
وهكذا رأينا في كل أرض ينزل فيها داعية أو عالمٌ من وجوه السادة آل باعلوي الكرام، كيف يجتمع عليه الخاصة قبل العامة، فيقدمونهم بحكم إرثهم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقوة الانتساب ورفعته المنيفة.

\*\*\*

## شؤون استذكرتها، ودروس استخلصتها:

### الاستشارة قبل الاستخارة:

في بيان للحبيب علي الجفري في (الانترنت) إثر هذه الزيارة للقدس قال: (فقد شاورت بعض كبار علماء الأمة واستخرت الله تعالى في شد الرحال إلى المسجد الأقصى فانشرح الصدر لذلك).  
أقول: هذا من الفقه الذي لا ينبغي أن يذهل عنه الناس؛ وبخاصة المتصدر للمشاريع والبرامج المهمة للناس، ومن هم في موضع القيادة والأسوة؛ فالاستشارة قبل الاستخارة.  
ومن مشاهير من نص على هذا: الإمام الحجة النووي - رحمه الله - حيث قال في كتابه الأذكار - كتاب أذكار المسافر - باب الاستخارة والاستشارة: اعلم أنه يستحب لمن خطر بباله السفر، أن يشاور فيه من يعلم من حاله النصيحة والحيرة، ويثق بدينه ومعرفته؛ قال الله تعالى: (وشاورهم بالأمر)، ودلائله كثيرة.  
وإذا شاور وظهر أنه مصلحة استخار الله سبحانه وتعالى في ذلك فصلى ركعتين.  
قال ابن علان في التعليق على هذا في كتابه: (الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية 5 / 95 - 96):  
ظاهر كلامه بل تصريحه تقديم الاستشارة قبل الاستخارة. قال ابن حجر الهيتمي: وليس ببعيد حتى عند التعارض، لأن الطمأنينة إلى قول المستشار أقوى منها إلى النفس.  
وأورد مما أورد من الأحاديث التي تحت على الاستشارة والاستخارة حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (من أشار على أخيه المسلم بأمر وهو يعلم أن غيره أرشد منه فقد خانه). حديث حسن أخرجه أبو داود والحاكم. وقال في بعض طرقه صحيح الإسناد. انتهى.  
وقد ذكر الحبيب أسماء عدد من هؤلاء الأكابر الذين استشارهم في هذا السفر المهم، وهم سادة من ينصح في مثل هذا!

\*\*\*

### فضل الصلاة في المسجد الأقصى:

في صحيح البخاري - كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - باب مسجد بيت المقدس.  
عن قزعة مولى زياد قال: سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يحدث بأربع عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فأعجبني وأتقني قال: (لا تسافر المرأة يومين إلا معها زوجها أو ذو محرم، ولا صوم في يومين الفطر والأضحى، ولا صلاة بعد صلاتين بعد الصبح حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب، ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام ومسجد الأقصى ومسجدي).

وأورد ابن حجر في (فتح الباري) قول ابن رشيد: وترجم بفضل الصلاة وليس في الحديث ذكر الصلاة؛ ليبين أن المراد بالرحلة إلى المساجد قصد الصلاة فيها؛ لأن لفظ المساجد مشعرٌ بالصلاة. انتهى.  
وفي (الفتح) أيضاً إيراد رواية البزار والطبراني من حديث أبي الدرداء رفعه: (الصلاة بالمسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة). قال البزار: إسناده حسن.

وفي صحيح مسلم - كتاب الحج - باب: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، روايات: منها رواية أبي هريرة يخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: (إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيلياء).

قال الإمام النووي في شرحه المشهور لصحيح مسلم: وفي هذا الحديث فضيلة هذه المساجد الثلاثة، وفضيلة شد الرحال إليها؛ لأن معناه عند جمهور العلماء: لا فضيلة في شد الرحال إلى مسجد غيرها، وقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا: يحرم شد الرحال إلا غيرها. وهو غلط..  
أقول: ذكر الإمام النووي قبل هذا في الكتاب نفسه في باب: سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره الحديث الماضي، وقال: واختلف العلماء في شد الرحال وإعمال المطي إلى غير المساجد الثلاثة، كالذهاب إلى قبور الصالحين، وإلى المواضع الفاضلة ونحو ذلك. فقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا: هو حرام. وهو الذي أشار القاضي عياض إلى اختياره. والصحيح عند أصحابنا وهو الذي اختاره إمام الحرمين والمحققون: أنه لا يحرم ولا يكره. قالوا: والمراد أن الفضيلة التامة، إنما هي في شد الرحال إلى هذه الثلاثة خاصة. والله أعلم.  
- عودٌ إلى فضائل الصلاة في المسجد الأقصى:

ففي سنن ابن ماجه - باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس إيراد أربع روايات، في الأولى أن فضل الصلاة فيه بألف:

عن ميمونة مولاة النبي - صلى الله عليه وسلم - قالت: يا رسول الله، أفتنا في بيت المقدس، قال: (أرض المحشر والمنشر، أتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره، قلت: رأيت إن لم أستطع أن أتحمّل إليه؟ قال: فتهدى له زيتاً يُسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه).

وفي الرواية الثانية أن الصلاة فيه لله تحرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه: عن عبد الله بن عمر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثاً: حكماً يصادف حكمه، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وألاً يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (أما اثنتان فقد أعطيها وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة).

## الأمر بإتيان المسجد مطلقاً:

مرت معنا رواية ابن ماجه - وورد في غيره-: (ائتوه فصلوا فيه).

وهذا الفعل (ائتوه) مطلق والمطلق عند علماء الأصول يجري على إطلاقه ما لم يَرِدْ دليل يدل على التقييد. وخذ هذا النَّصَّ من نصوص أئمة أصول الفقه على سبيل المثال: قال الإمام أبو إسحاق الشيرازي (ت 476) في كتابه الشهير (اللمع في أصول الفقه - عند الحديث عن المطلق-: فصل: فإن وردَ الخطابُ مطلقاً لا مُقَيِّدَ له، حُمِلَ على إطلاقه... انتهى.

ومن هنا فَصَدَّ بيت المقدس، وشدَّ الرحل إليه صحابةٌ وتابعون في عهد أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- قبل الفتح العمري في عهد الرومان، وخلائق من الأخيار في عهد هيمنة الصليبيين، لأنهم ما رأوا قياداً وخطراً على الزيارة، إن هيمن عدوٌّ، أو احتل داراً للإسلام.

\*\*\*

وأذكر مثلاً لأحد الأكابر الذين دخلوا بيت المقدس مع تسلط الكفار وهيمنتهم وكانت منه المخاطرة: هو الإمام السمعاني، وقد ترجمه الإمام الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (456/20-465) وحلَّاه بقوله: الإمام الحافظ الكبير الأوحى الثقة محدث خراسان، أبو سعد عبد الكريم بن الإمام الحافظ الناقد أبي بكر محمد بن العلامة مفتي خراسان أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي السمعاني الخراساني المروزي صاحب التصانيف الكثيرة. ولد بمرو في شعبان 156.

وذكر بلاداً كثيرة دخلها وسمع فيها، ثم قال الذهبي: وبقاع يطول ذكرها بحيث إنه زار القدس والخليل وهما بأيدي الفرنج، تحيّل وخاطر في ذلك، وما تهيأ ذلك للسُّلْفي ولا لابن عساكر.

وترجمة ابن العماد في الشذرات (340/6-341): ومما قال: عمل معجم شيوخه في عشر مجلدات كبار.

قال ابن النجار: سمعت من يذكر أن عدد شيوخه سبعة آلاف شيخ، وهذا شيء لم يبلغه أحد. وسرد ابن النجار تصانيفه، وذكر أنه وجدها بخطه؛ فمنها (الذيل على تاريخ الخطيب) أربعمئة طاقة، (تاريخ مرو) خمسمئة طاقة، (طراز الذهب في أدب الطلب) مائة وخمسون طاقة، وغير ذلك.

ومما حلَّاه به الإمام ابن كثير في تاريخه (البداية والنهاية) (175/12): قوام الدين، أحد الأئمة المصنفين. وذكر بعض كتبه، قال: منها كتابه الذي جمع فيه ألف حديث عن مائة شيخ، تكلم عليها إسناداً ومتناً، وهو مفيد جداً -رحمه الله-.

وقد ذكر الإمام السمعاني مجيزاً الدين الحنبلي العليمي (ت 927) في كتابه الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (440/1 - 441) وقال: قدم بيت المقدس زائراً له، وهو في أيدي الكفار .. انتهى.  
والسمعاني نسبه إلى سمعان: بطن من تميم كما ذكر هو في (أنسابه) وقال ابن خلكان: سمعت بعض العلماء يقول يجوز بكسر السين أيضاً. (سير الذهبي 456/20)  
أقول: والعجب أن هذا العلم الكبير توفي عن 56 سنة إذ وفاته بمرور سنة 562.

\*\*\*

### خاتم الرسل يقصد المسجد الحرام مرتين قبل الفتح:

إِنَّ قَصْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَشَدَّهُ لِلرَّحْلِ نَحْوَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مَرَّتَيْنِ: فِي الْحَدِيثِ وَقَدْ صُدَّ عَنْهُ، وَفِي عَمْرَةِ الْقَضَاءِ، وَهُوَ تَحْتَ هَيْمَنَةِ الْمُشْرِكِينَ - لَمِنْ أَظْهَرَ الْأَدْلَةَ عَلَى أَنَّ الْمَسْجِدَ الَّذِي يُشَدُّ لَهُ الرَّحْلُ، لَا تَنْقَطِعُ عَنْهُ هَذِهِ الْقَرْبَةُ وَإِنْ تَسَلَّطَ عَلَيْهِ كُفَّارٌ أَوْ مُشْرِكُونَ!.  
ومن أخصر النصوص على هاتين السفرتين، وشد الرحل مرتين من سيد الكونين -صلى الله عليه وسلم- إلى المسجد الحرام وهو تحت هيمنة المشركين؛ ما جاء في صحيح البخاري في كتاب المغازي. باب عمرة القضاء.

4252: عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خرج معتمراً فحال كفار قريش بينه وبين البيت فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل، ولا يحمل سلاحاً عليهم إلا سيوفاً، ولا يقيم بها إلا ما أحبوا فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم فلما أن أقام بها ثلاثاً أمره أن يخرج فخرج.

قال ابن حجر في (الفتح) قال الحاكم في (الإكليل): تواترت الأخبار أنه -صلى الله عليه وسلم- لما هلك ذو القعدة أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء عمرتهم، وأن لا يتخلف منهم أحد شهد الحديبية، فخرجوا إلا من استشهد، وخرج معه آخرون معتمرين فكانت عدتهم ألفين سوى النساء والصبيان. قال: وتسمى أيضاً عمرة الصلح

قلت -والقائل ابن حجر-: فتحصل من أسمائها أربع: القضاء، والقضية، والقصاص، والصلح.

وقال ابن الأثير: أدخل البخاري عمرة القضاء في المغازي لكونها مسببة عن غزوة الحديبية.

- وقد عقد الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد باباً، قال: باب: صلح الحديبية في الحديبية، وذكر

روايات، أذكر منها ما يلي:

4607 - عن البراء، قال: لما أحصر النبي -صلى الله عليه وسلم- عند البيت، صالحه أهل مكة على أن يدخلها فيقيم بها ثلاثاً، ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح، السيف وقرابه، ولا يخرج بأحد معه من أهلها، ولا يمنع أحداً يمكث بها ممن كان معه، قال لعلي: (اكتب الشرط بيننا، بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله)، فقال له المشركون: لو نعلم أنك رسول الله تابعناك ولكن اكتب: محمد بن عبد الله فأمر علياً أن يمحاها فقال علي: لا، والله! لا أمحاها. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أربي مكانها، فأراه مكانها فمحاها، وكتب: ابن عبد الله. فأقام بها ثلاثة أيام، فلما أن كان يوم الثالث قالوا لعلي: هذا آخر يوم من شرط صاحبك، فأمره فليخرج، فأخبره بذلك، فقال: نعم، فخرج.

### - رضی النبي - صلى الله عليه وسلم - بشروط الكفار الثقيلة، وثقلها على الناس:

كانت الشروط ثقيلة على الصحابة -رضي الله عنهم- فالدخول مؤقت بثلاث، وإن جاءنا أحد من أهلها رددناه، وقد حصل أن جاء أبو جندل يجلُّ في قيده فردّه إليهم - وأن لا يمنع أحداً يمكث بمكة ممن كان معه، وأن لا يكون أيُّ مظهر يوحى بقوة وغلبة؛ فالدخول لا سلاح إلا السيف وقرابه. قال النووي: قال العلماء: وإنما شرطوا هذا لوجهين: أحدهما أن لا يظهر منه دخول الغالبين القاهرين. والثاني: أنه إن عرض فتنة أو نحوها يكون في الاستعداد بالسلاح صعوبة. اهـ. أقول: وأعجب الكلّ شَرَطهم أن لا يدعو منهم أحداً؛ ورسول الله ما أرسل إلا للبلاغ والدعوة!. جاء في البخاري في كتاب الجزية والموادعة -باب المصالحة على ثلاثة أيام أو وقت معلوم حديث البراء - رضي الله عنه- أن النبي - صلى الله عليه وسلم- لما أراد أن يعتمر أرسل إلى أهل مكة يستأذنهم ليدخل مكة فاشتروا عليه أن لا يقيم بها إلا ثلاث ليال، ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح، ولا يدعو منهم أحداً. ورأيث في جامع الأصول (348/8): وفي بعض الروايات ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح: السيف والقوس ونحوها، يريد: ما كان مغمداً يحتاج في إظهاره إلى معاناة لا بالرّماح والقنا، لأنها أسلحة مظهرية يمكن تعجيل الأذى بها.

وقد استثقل هذه الشروط أقرب الناس إلى رسوله الله صلى الله عليه وسلم، فهذا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وقد أتى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- كما جاء في مسلم برقم: 4659- فقال: يا رسول الله! ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: (بلى) قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: (بلى). قال: ففيم نعطي الدنّية في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: (يا ابن الخطاب! إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبداً). قال: فانطلق عمر فلم يصبر متغيظاً، فأتى أبا بكر (فأعاد ما قاله لرسول الله) فقال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبداً..

- وفي الطبقات الكبرى لابن سعد (2/ 101): عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب، لقد صالح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أهل مكة على صلح وأعطاهم شيئاً لو أن نبي الله أمّر عليّ أميراً فصنع الذي صنع نبي الله ما سمعتُ له ولا أظعْتُ..

### - فما مسوغات الرضى بهذه الشروط؟! -

أنقل الآن كلاماً نفيساً للإمام النووي ينبغي أن يتأمله كلُّ داعية وكلُّ وجيه، وكل منظور له، ليأخذ منه ترجيح المصالح، فيقدم ما ينبغي تقديمه، ويؤخر ما ينبغي تأخيره؛ والسيرة مشحونة بالدروس العظيمة، والفوائد الغالية التي ينبغي أن لا يُجهل:

يقول الإمام النووي - رحمه الله - في شرحه لمسلم بعد إيراد ذلك. قال العلماء: وافقهم النبي - صلى الله عليه وسلم - في ترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم، وأنه كتب باسمك اللهم، وكذا وافقهم في محمد بن عبد الله، وترك كتابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكذا وافقهم في رد من جاء منهم إلينا دون من ذهب منا إليهم، وإنما وافقهم في هذه الأمور للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح، مع أنه لا مفسدة في هذه الأمور. أما البسملة وباسمك اللهم، فمعناها واحد، وكذا قوله محمد بن عبد الله هو أيضاً رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليس في ترك وصف الله سبحانه وتعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك ولا في ترك وصفه أيضاً - صلى الله عليه وسلم - هنا بالرسالة ما ينفىها، فلا مفسدة فيما طلبوه، وإنما المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل من تعظيم آهتهم ونحو ذلك.

وأما شرط ردّ من جاء منهم ومنع من ذهب إليهم؛ فقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - الحكمة فيهم في هذا الحديث بقوله: (من ذهب منا إليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً) ثم كان كما قال - صلى الله عليه وسلم - : فجعل الله للذين جاؤونا منهم ورددناهم إليهم فرجاً ومخرجاً والله الحمد وهذا من المعجزات.

قال العلماء: والمصلحة المترتبة على إتمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة، وفوائده المتظاهرة التي كانت عاقبتها فتح مكة وإسلام أهلها كلها، ودخول الناس في دين الله أفواجاً. وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين، ولا تتظاهر عندهم أمور النبي - صلى الله عليه وسلم - كما هي، ولا يجلون بمن يعلمهم بها مفصلة، فلما حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين وجاؤوا إلى المدينة وذهب المسلمون إلى مكة وحلّوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحوه وسمعوا منهم أحوال النبي صلى الله عليه وسلم مفصلة بجزئياتها ومعجزاتها الظاهرة، وأعلام نبوته المتظاهرة، وحسن سيرته، وجميل طريقته، وعانوا بأنفسهم كثيراً من ذلك، فما ذلت نفوسهم إلى الإيمان حتى بادر خلق منهم إلى الإسلام قبل فتح مكة، فأسلموا بين صلح



الحديبية وفتح مكة. وازداد الآخرون ميلاً إلى الإسلام، فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم لما كان قد تمهد لهم من الميل، وكانت العرب من غير قريش في البوادي ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش، فلما أسلمت قريش أسلمت العرب في البوادي. قال تعالى: **(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ \* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا)** انتهى كلام النووي.

أقول ذكرتُ الكلام بطوله لئعلم أيضاً أن دخول دار يتسلط عليه الكفار لا يكون إلا لمصالح سائغة مشروعة، تعود بعوائد حسنة على الداخل، وعلى المسلمين من باب أولى، وإن دخلنا فعرضنا أموراً فيها مصلحة لنا فلم يقبل المتسلط الكافر تركناها ريثما تَسْنَحُ فرصة نُقَدِرُ فيها على تحقيق ما نريد.

### - مما عرضه النبي صلى الله عليه وسلم على المشركين بمكة ورُفض:

جاء في سيرة ابن هشام (275/4): قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمكة ثلاثاً فأتاه حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن مضر بن مالك بن حسل، في نفر من قريش، في اليوم الثالث، وكانت قريش قد وكَّلته بإخراج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من مكة؛ فقالوا: إنه قد انقضى أجلك، فأخرج عتاً، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **(وما عليكم لو تركتموني فأغرستُ بين أظهركم، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه)** قالوا: لا حاجة لنا في طعامك، فأخرج عتاً، فخرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة، حتى أتاه بها بِسْرَفٍ، فبني بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هنالك، ثم انصرف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة في ذي الحجة.

### - لم يخرج كبراء المشركين من مكة حين طوافه صلى الله عليه وسلم!؟

جاء في إمتاع الأسماع للإمام المقرئ (20/9): وتغيب رجال من أشرف المشركين كراهية أن ينظروا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه غيظاً، وحنقاً، ونفاسةً، وحسداً، خرجوا إلى بوادي مكة.

### - لم يَطْفُ عثمان -رضي الله عنه- عام الحديبية!؟

جاء في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد المشهورة بالسيرة الشامية للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت 942) (47/5): وقال المسلمون -وهم بالحديبية، قبل أن يرجع عثمان- خلَّص عثمان من بيننا إلى البيت فطاف به، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون)**، وقالوا: وما يمنعه يا رسول الله وقد خلَّص إليه. قال: **(ذلك ظني به ألا يطوف بالكعبة حتى نطوف)**.

وعند ابن جرير وابن أبي حاتم عن سلمة بن الأكوع -مرفوعاً-: **(لو مكث كذا كذا سنة ما طاف حتى أطوف)**، فلما رجع عثمان إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال المسلمون له: اشتفت من البيت يا أبا عبد الله! فقال عثمان: بئس ما ظننتم بي! فوالذي نفسي بيده لو مكثت مقيماً بها سنة، ورسول الله -صلى

المقصد العلي من زيارة سيدي الحبيب علي في ظلال ذكرى الإسراء والمعراج

د. محمد ياسر القضماني

الله عليه وسلم - مقيم بالحديبية ما طفث حتى يطوف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولقد دعيتني قريش إلى أن أطوف بالبيت فأبيت. فقالوا: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعلمنا وأحسننا ظناً. أقول: فظاهر لم امتنع عثمان - رضي الله عنه - عن الطواف؛ لا لأنه تحت هيمنة كفار حتى يتحرر من ربقته كما توهم بعضهم؛ وإنما السبب هو ما ذكره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنفسه: (ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون).

فعثمان هو الذي أثنى عليه رسول الله بالحياء، فأين أدبه وحيأؤه من رسول الله - يتركه جانباً وقد حيل بينه وبين البيت، ثم يطوف وحده؟! ولذا قال بنفسه: فوالذي نفسي بيده لو مكثت مقيماً بها سنة، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقيم بالحديبية ما طفث حتى يطوف...

أقول: وقد عبّر عن هذا الإمام البوصيري صاحب البردة المشهورة بأبيات في قصيدته الهمزية المسماة أم القرى بقوله:

وَأبَى أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ إِذْ لَمْ  
فَجَزَّئَتْهَا عَنْهَا بَيْعَةَ رِضْوَانِ  
حَمَالٌ بِالْتِرْكِ حَبْدًا الْأَدْبَاءِ  
يَدُنْ مِنْهُ إِلَى النَّبِيِّ فَنَاءِ  
نِ يَدٍ مِنْ نَبِيهِ بِيضَاءِ

\*\*\*

وقال ابن حجر الهيتمي في كتابه: المنح المكية في شرح الهمزية المسمى أفضل القرى لقرء أم القرى (ص 574 - 575): ومن عجيب هذا الأدب: أنه حصل فيه أمر عظيم، وفضل مستغرب جسيم، وذلك أنه مع كونه تركاً لفعل العبادة تضاعفت الأعمال التي في ذلك الفعل وهو الطواف؛ أي ثوابها بسبب الترك لذلك العمل لأجله صلى الله عليه وسلم، فكان الترك هنا أفضل من الفعل لو وقع منه... كيف وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال في حقه - وقد استحي صلى الله عليه وسلم منه لما دخل عليه فجمع ثيابه: (ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة).

وروي من غير طريق: (أشد أمتي حياء عثمان بن عفان)...

\*\*\*

## استحباب الإهلال بنسك من بيت المقدس:

- عودٌ إلى بيت المقدس وشرفة ومكانته:

فقد رأينا في عدد من كتب السنة الحثَّ على الإهلال بنسكٍ حج أو عمرة من بيت المقدس، وقد عمل به عدد من الصحابة فمن بعدهم، وهذا يقتضي أنه لم يُهجر في وقت من الأوقات، وهذه إشارة لبعض هذه الأحاديث والآثار:

- ففي سنن أبي داوود - كتاب المناسك - باب في المواقيت حديث (1738) عن أم سلمة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أنها سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أو وجبت له الجنة)، شك عبد الله أيتها قال. قال أبو داوود: يرحم الله وكيعاً، أحرم من بيت المقدس يعني إلى مكة.

- وفي سنن ابن ماجه - كتاب المناسك - باب من أهل بعمرة من بيت المقدس، وذكر روايتين عن أم سلمة، الأولى: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من أهل بعمرة من بيت المقدس غفر له). والثانية: قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من أهل بعمرة من بيت المقدس كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب). قالت: فخرجت، أي من بيت المقدس بعمرة.

- وقد صحح الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري حديث ابن ماجه في كتابه (الترغيب والترهيب)، وقد أورد المنذري جملة من الأحاديث تحت عنوان: الترغيب في الإحرام من المسجد الأقصى. ومنها رواية عند ابن حبان في صحيحه أن أم حكيم بنت أبي أمية بن الأحنس ركبت إلى بيت المقدس حتى أهلت منه بعمرة.

- وعقد الإمام محب الدين الطبري في كتابه العظيم في المناسك (القربى لقاصد أم الثرى) فصلاً: ما جاء في استحباب الإحرام من المسجد الأقصى وذكر روايات في أبي داوود وابن حبان ومسنده أحمد. ثم قال: وعن ابن عمر: أنه أهل من بيت المقدس. خرَّجه الشافعي وسعيد بن منصور وخرَّجه مالك؛ ولفظه: عن ابن عمر: أنه أهل من إيلياء.

قال المحب الطبري: وقد استدلل بهذه الأحاديث من ذهب إلى فضيلة تقديم الإحرام عن الميقات، ويحتمل أن تكون هذه الخِصِيصِيَّة ثبتت لبيت المقدس دون غيره؛ ولو كان لأجل البعد عن مكة لكان غيره مما هو أبعد أولى بالذكر.

أقول: وانظر تحقيق الشيخ محمد عوامة - من أكابر المشتغلين بالحديث في هذا العصر - لرواية المصنف لابن أبي شيبه (برقم: 12837): (من أهل بعمرة من بيت المقدس غفر له).

فقد أورد في تحقيقه روايات أخرى - من غير ما ذكر من الكتب آنفاً - عند البخاري في تاريخه الكبير، وأبو يعلى، والدارقطني في سننه، والطبراني والبيهقي في الشعب، وله ألفاظ مختلفة هل: (غفر له) مطلقاً، أو (غفر له ما تقدم من ذنبه)، (أو غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) (أو غفر له ما تقدم من ذنبه ووجبت له الجنة) وهي رواية الدارقطني في سننه، والبيهقي في الشعب.

- وفي كتاب (الأنس الجليل) ذُكِرَ عدد من الصحابة أهلوا من بيت المقدس. أذكر من لم يأتي ذكرهم آنفاً: وهو سيدنا سعد بن أبي وقاص فقد جاء (1 / 388): أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص ... قدم بيت المقدس وأحرم منه بعمره. وأورد في (1 / 391): محمود بن الربيع وقال: نزل بيت المقدس وأهل منه بحج وعمره.

\*\*\*

### نذر عجيب:

جاء في (الأنس الجليل) أيضاً أن الشريد بن سويد قدم بيت المقدس لأنه كان قد نذر أن يصلي فيه إن فتح الله مكة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واستأذنه في ذلك فأذن له.

\*\*\*

### أهل مكة أدرى بشعابها:

أقول لا ينبغي التردد في أن نُصرة إخواننا في فلسطين المحتلة؛ وفي القدس الشريف بخاصة - متعينة بكل السبل المشروعة؛ فإن طلبنا منّا أفاضلٌ وجوههم والمسؤولين فيهم زيارتهم عن قرب، ومعاينة أحوالهم، وإبلاغها في النواحي هنا وهناك فلا ينبغي التقاعس عن تلبيتهم، والتواني عن إجابتهم؛ إذ ليس من رأى كمن سمع، وليس الخبر كالمعاينة أو كالعيان كما جاء في الأثر.

\*\*\*

### حرماننا وعقوبتنا لأهل القدس:

أقول: لم نجتمع على أهل الأقصى نكبتين: نكبة الاحتلال، ونكبة حرمانهم الزيارة، والمواصلة عن قُرب؟! وما الذي يجنيه أهل المكان إن عاقبناهم بالمهجران؟! فلا نحن استنقذناهم وأطلقناهم من الأسر، ولا نحن مددنا لهم يد العون عن قرب، وقد غادر كثير من أهلنا في بيت المقدس أرضهم وأقصاهم لِقلة الموارد، وعزّة المعاون!

## الأمور بمقاصدها:

لقد استنبط الفقهاء من قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المشتهر: **(إنما الأعمال بالنيات ..)** قاعدة فقهية نفيسة عبّروا عنها بقولهم: **(الأمور بمقاصدها)**؛ فينبغي أن نعمل بها هنا، ونوظّفها في بحثنا هذا؛ فنقول: مَنْ دَخَلَ الْقُدْسَ مِنْ خَارِجِهَا سَاعِيًا مَلَدَّ يَدَ الْعَوْنِ لَهُمْ، وَقَصَرَ تَعَامَلَهُ عَلَيْهِمْ مَا اسْتَطَاعَ، وَرَوَّجَ لِتِجَارَاتِهِمْ فَأَرْجَحَهُمْ، وَنَزَلَ فِيهِمْ، فَعَرَفَ أَحْوَالَهُمْ لِشَرِّ مَا يَعُودُ عَلَيْهِمْ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَكَانَ سِنْدًا فِي نَصْرِ قَضَايَاهُمْ الْمَلْحَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ - مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مَدَحْنَاهُ، وَأَكْبَرْنَا صَنِيعَهُ، وَأَثْنَيْنَا عَلَى أَصْحَابِ تِلْكَ الْعِزْمَاتِ، وَأَرَبَابِ هَاتِيكَ الْجَاهِدَاتِ، وَمَنْ لَا، فَلَا؛ كَمَا يَقُولُ فُقَهَاؤُنَا!

وقد رأينا أسماء قريب من مئتي عالم وأستاذ فيهم عدد من المقيّنين في عدد من الجمهوريات ذكروا في بيانات لهم تأييدهم لزيارة الداعية السيد الحبيب علي الجفري، وزيارة مفتي مصر العلامة الشيخ علي جمعة التي تلت زيارة الحبيب علي بأيام؛ فكانت بشارة بين عليّين!! ورأى الموقعون في هذه الزيارات مصلحةً للأمة الإسلامية في نصرة المسجد الأقصى، وتأييداً للقضية الفلسطينية، وإحياءً لها في قلوب شباب الأمة، وذلك في وجه تسارع الجهود الصهيونية في طمس هوية القدس، وتحويل معالمها.

هذا وقد رأينا بعض أصحاب التخصصات العلمية وغيرها من مسلمين أفاضل جاؤوا من دول عديدة، يعدّون أزهي أيامهم، وأفضل أعمالهم تلك التي كانت منهم عندما وصلوا للقدس، وأعانوا وساندوا وأيدوا ونشروا عن رحلاتهم؛ فكان لها أبلغ الأثر في نصرة القضية، ورأينا اعتزاز أهلها بأن لهم إخوة ضحّوا من أجل الوصول إليهم بكل ما يملكون!

\*\*\*

## شدُّ الرَّحْلِ بَيْنَ الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ:

أقول: هل شدُّ الرحل لهذا المسجد الأسير مع المكابدات والمجاهدات كالوصول إليه في أوقات الرّخاء قبل الاحتلال، أو بعد تحريره إن شاء الله؟!

وقد مر معنا أن الإمام الذهبي ذكر عن الإمام تاج الإسلام السمعاني أنه لما زار القدس والخليل وهما بأيدي الفرنج تحيّل وخاطر في ذلك!

وقد جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم يخاطب السيدة عائشة - رضي الله عنها - : **(أَجْرُكَ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكَ)**. واستنبط الفقهاء من هذه الكلمات: **(الأجرُ على قدر النصب)**. واستثنوا مسائل تُعرف من كتب القواعد.

إننا نتذاكر في هذه الشؤون، ونحن في غاية الأسي لحال إخواننا؛ واليهود يأتون الأقصى متى شاءوا يُرتلون، بتراتيلهم الباطلة، ويُدنسون بكفرهم وشركهم هنا وهناك؟! لذا نقول: إن قَدِرَ مُسَلِّمٌ من خارج فلسطين أن يصل للمسجد بشروط ليس فيها إعطاء الدّنيّة في الدّين، ولا الاعتراف بجواز فعل الغاصبين فما الإشكال في ذلك؟! والحال كحال أي واحد منّا يريد أن يصل لأي دولة أجنبية تطلب منه شروط من أوراق وأموال وغيرها، فيحوزها ويدخل؛ ولا نقرّ ما عليه الحكومات الأجنبية من مخالفات لديننا، أو إيذاء لإخواننا المقيمين على أرضها! ومن رضي فالوبال عليه، وهو آثم في كل لحظة! نعم! هذا المسجد الأقصى المبارك ليس حَكَراً على أهله؛ وإن نحن حاولنا التفريق بين زيارة الفلسطيني وغيره فلن نُقدِرَ، ولن تسعفنا القواعد!!

فالمسجد مسجداً، وحرمة ثابتة مؤبدة، ولن يعكر على قدسيته استيلاءً وهيمنةً طارئةً، ومهما حكم اليهود أو غيرهم بقعة من بقاع المسلمين، وقدّرنا على الوصول إليها وإلى أهلها فلن نتوان، ولن نكسل عن واجبنا!!

### زيارة الأقصى للصلاة فيه من تعظيم حرّمات الله:

لَقَتَ نظري عند دراسة شروط الحديبية - والتي منها رد المسلم إلى مكة - ما أورده في السيرة الحلبية (30/3) من قول السهيلي - رحمه الله - ما يلي: وفي رد المسلم إلى مكة عمارة للبيت، وزيادة خير له في الصلاة بالمسجد الحرام، والطواف بالبيت، فكان هذا من تعظيم حرّمات الله. انتهى. فالكلام نقوله في المسجد الأقصى فمهما قدر المسلم على عمارته بأن يؤمّه للقرّبات، والصلاة في هاتيك الساحات الغاليات فهو معظّمٌ لشعائره، ورافع لمنائره.

\*\*\*

### في شجون ذكرى الإسراء والمعراج:

مذ كانت المعجزتان الباهرتان، والحديث عنهما لا ينقضي، والدروس لا تنتهي، والعظات بالغات، والإشارات متكاثرات، وهل عكّر على هذه الرحلة النبوية إلى المسجد الأقصى كونه تحت هيمنة غير المسلمين؟! ما كان ليخطر ببال أحد في الماضي أن هذا يكدر على قدسية المسجد أو يُذهب بهاءه، فنبيّنا الأكرم ورسولنا الأعظم - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -، هو الإمام في المسجد الأقصى وقد صفّ خلفه الأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛ ليتجلى في أظهر صورة من هو سيّد

الكل وإمام الكل، ثم المعراج وما كان فيه من رؤية آيات الله الكبرى، فظهر شيء من نور مقاماته للعالم العلوية والسفلية: تأتي الذكرى هذا العام وقد وطأت زيارة من زار بيت المقدس، وصلى في المسجد الأقصى قبل أيام من خواص أهل العلم والشرف والدعوة إلى الله تعالى من اليمن ومصر وغيرها؛ أقول: وطأت زيارتهم لشؤون وشؤون مرتقبة لبيت المقدس، وأكناف في بيت المقدس!!

نعم تأتي الذكرى هذا العام، وجراحات هنا وهناك تذكّرنا بقول الشاعر:

وكنث إذا أصابني سهام  
تكررت النصال على النصال

ولكن هي السنة التي لا تتخلف؛ لا يبرز فجر إلا بعد حلقة الظلام!

\*\*\*

### الوعد الحق بعلوّننا على اليهود:

نحن موعودون بأبواب من الخير عميمة، وعطايا من البركات العظيمة، ومقبلون على فتوح ومُنوحٍ أخبر عنها السيّد المعصوم الذي (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)، ومن ارتاب في ذلك فما عرف ربه، ولا عرف دينه! وفي صحيح مسلم - في كتاب الفتن - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، جاء حديث (برقم 7268) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي فتعال فاقته، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود).

وجاء (برقم: 7267): عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: (تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم..).

إذاً موعودون بقتلهم والتسلط عليهم؛ ولكن متى؟ إذا صدق علينا الوصف (يا مسلم) والمسلم الحق نعته إمام المسلمين وسيّد المرسلين بقوله: (المسلم من سلّم المسلمون من لسانه ويده).

فمهما تحقّقنا بهذا الوصف تحقّق الوعد؛ لأنّ الله لا يخلف الميعاد! وموعودون كذلك بخروج الإمام السيّد المهدي محمد بن عبد الله من نسل السيّدة فاطمة، ومتشوقون لفتوحه وانتصاراته وبركاته.

واليهود على يقين من الهزيمة؛ فهم يكثرون من زراعة شجر الغرقد عليهم أن يستطيلوا مدّة بقائهم ما استطاعوا؛ ولكن هيهات إن حلّ الأجل المحتوم بزوال ملكهم، وانحاق سلطانتهم!

وقد كانت في فلسطين في غزّة رجب الحرام عام 1421 انتفاضة أقلقت اليهود بل العالم أجمع، فكتبنا حينها كلمات، ونُشرت في عدة جهات أحتّم مقالتي هذه ببعض ما قلته آنذاك:

نعم! مازال في الأمة على تفريطها في أحكام ربّها، وعجزها وهوانها على الناس - بقيّة من غيرّة، وبقيّة من حرقة، وأمل يتعاضم بين الفينة والأخرى في التحرّر من العبودية لغير الله، ومن شَرِكِ الوقوع في أسر الطاغوت بكلّ صنوفه وألوانه!

نعم! كان أعداؤنا ولا يزالون يخشون هذه الصحوّة، ويفزعون من هذه الانتعاشة المنهضة، ويُرعِدون، نعم يُرعِدون إلى حدّ الهلاك خوفاً من الغضبة العارمة التي تأتي عليهم، وتقتلعهم من جذورهم، انتصاراً لله ورسوله، وثأراً للمقدّسات والحُرّمات.

إنّ الدين هو المحرّك الحقيقي للإنسان، وهو المقيّم المقعد على مدى الأيام، وهاكم أمم كثيرة ما حرّكها بل فجرها في وجوه أعدائها إلا دوافع وآمال دينية يسعون إليها مقدّسين ومعظمين ومضحّين. فلئن نفع الناس أن يضحوا في سبيل عقائدهم في الماضي والحاضر ويتخلصوا من جرّاء ذلك من ريقّة أعدائهم على وفرة العُدّد، وكثرة العُدّد - فأليس المسلمون هم أحق من ينتصر لمقدّساته، ويضحّي في سبيل صونها والذود عنها؟!

أليس المسلمون هم أجدر بالنصر إن لجؤوا إلى ربّهم، وعظّموا أمر نبيّهم؟!

والله لا يجامل أحداً من خلقه، ولقد تأخّر النصر مرّة عن الصدر الأول وهم خير القرون؛ لتترك نافر منهم لتوجيه نبوي واحد مع أنهم متأولين لصواب، ولما تعجّب الناس قائلين: أتّى هذا؟! وفينا رسول الله! قال الله لهم: **(أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).**

إننا إذا استوينا مع أعدائنا في التفريط بحقوق الله ورسوله فسينتصر من يُعدّد، ويشمّر ويستعدّد، سنّة لا تتخلف. قال ربّنا الذي بيده النصر وخزائن كل خير: **(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ \* وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ).**

فالمنصور من تحلى بعبوديّته لله!! فمتى تحرّرتنا من عبوديّة الشهوات وعبودية المصالح، وعبودية الأهواء وعبودية البشّر - نصرنا ربُّ البشر! انتهى.

هذا ما قلته فيما مضى، وليس هناك حقائق وسنن جديدة، ولو عشنا ألف ألف عام، فقد جفّت الصحف بما فيه سعادتنا في الدنيا والآخرة!

اللهم أقبل بوجهك الكريم علينا، والطف بنا لطفاً يليق بكرمك العظيم، وفضلك الجسيم، واحقن دمائنا ودماء المسلمين، إكراماً لنبيّك ومصطفاك صاحب الذكرى، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

دمشق، الشام، بعد ظهر السبت،

السادس والعشرين من رجب الحرام،

1433 هجري، الموافق: 16/ 6/ 2012 ميلادي.